بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة 27-5-2011م **الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال**

((أخلاقيات الأزمات))

((الجزء السادس))

الحمد لله.. الحمد لله ثم الحمد لله..

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبيٍّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله.

أرسله ربنا بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كلّه، ولو كَرِه الكافرون، ولو كَره المشركون، ولو كَره مَن كَرِه، اللهم صلّ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد.. فيا عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، فإن تقوى الله هي العدة لنا في الدنيا وفي الآخرة، وإن الله كتب العاقبة للمتقين فقال: ﴿ . . إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود:49] وقال تعالى: ﴿ . . وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه:132] فإنه من فارَق التقوى فارقه التوفيق في الدنيا والآخرة.

ثم أستفتح بالذي هو خير:

قال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام:104].

وقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [النساء:174-175]

وقال سبحانه: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة:15-16]

قال ابن كثير في تفسيره:

(أخبر الله تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم أنه: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ أي: طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة،....وينجيهم من المهالك، ويوضح لهم أَبْيَن المسالك، فيصرف عنهم المحذور، ويحصل لهم أنجَبَ الأمور، وينفي عنهم الضلالة، ويرشدهم إلى أقوَم حالة).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم: مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمّى)) [البخاري ومسلم].

وفي رواية: ((كرجل واحد، إن اشتكت عينُهُ اشتكى كُلُّه، وإن اشتكى رأسُهُ اشتكى كُلُّه)) [مسلم].

عنوان خطبة اليوم:

(أخلاقيات الأزمات –6–).

سبق –أيها الإخوة– أن الأزمات عادةً ما تكشف المعدن النفيس للناس، وتميز الخبيث من الطيب، ولئن كنا مدعوين للتحلي بمكارم الأخلاق والتخلي عن مساوئها في الأوقات عامةً، فنحن إلى هذا التحلّي والتخلّي في الأزمات أشدُّ حاجة.

وعرضت الخطب الماضية لأخلاق تسعة في الأزمات وهي:

عدم الهلع – الأمانة – التراحم – التكافل – التثبُّت – الأمل – مراعاة حدود الشرع في الدماء والأموال والأعراض– حفظ الكلمة، الثقة بموعود الله.

وتعرض خطبة اليوم لخلقٍ عاشر نُنهي به هذه المجموعة من الخطب.

وإذا كنتم سمعتم مني أخلاقاً تسعة فيما مضى من الخطب، فاعلموا –أيها الإخوة– أنها تمثّل شطراً في التعامل مع الأزمات، وخلق اليوم وحده يمثل شطراً.

الخلق العاشر من أخلاقيات الأزمات:

((اللَّجَأ إلى الله تعالى))

أيها الإخوة:

إنه لا فاعل في الكون حقيقة إلا الله، وإنه لا آمِر في الكون على التحقيق إلا الله، ما جرى بعلمه، وما حصل بقَدَره، يقضي الحق وهو أحكم الحاكمين.

ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا رادّ لأمره، ولا مُعقّب لحكمه، وهو أسرع الحاسبين.

مَن رفَعه الله فلا ينخفض، ومن خَفضَه فلا يرتفع، لا يَذلّ من والاه، ولا يَعزّ من عاداه، وكل شيء عنده بمقدار، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

اللَّجَأ إلى الله، اللجوء إلى الله، الالتجاء إلى الله، الفرار إليه، والاعتضاد به، والاعتصام بحبله، والضراعة إليه، والتوكل عليه، في الأوقات عامة، وفي الأزمات خاصة باب عريض من أبواب الفهم عن الله، ومن أبواب تفريج كلّ ضيق، وتنفيس كلّ كرب، وحلّ كلّ عسير، والإحاطة بكلّ أزمة، وتيسير كلّ شدة.

﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الذاريات:50]

قال الله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام:42-45]

قال المفسرون: ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ والضراء ﴾: أي الشدائد، كالقحط والجوع والفقر الشديد، وتُطلق على ما يصيب الأمم من أزمات تجتاحها بسبب الحروب والنكبات، ﴿ والضراء ﴾: تطلق على الأمراض والأسقام التي تصيب الأمم والأفراد. نأخذهم بالبأساء والضراء تخويفاً لهم ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾: أي يتذللون ويتوبون من ذنوبهم ويتخشعون لربهم.

لكنهم لم يفعلوا، ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾، أي: هلا تذلّلوا لله وتابوا إليه حين جاءهم البأس فنرحمهم، وفيه دليل على نفع التضرع حين الشدائد. ﴿ وَلَكِنْ قَسَتْ

﴿قُلُوبُهُمْ﴾، أي صلبت ولم تَلِن، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، فصرفهم عن التضرع، ولم يمنعهم من التضرع إلا قساوة قلوبهم، وإعجابهم بأعمالهم.

ويصف القرآن الكريم أحوال الأنبياء عندما تنزل بهم الشدائد والأزمات بأنهم يلجؤون إلى الله يتضرعون، ويُقبلون عليه، ويجأرون بالدعاء والتوبة والبكاء.

فقال عن سيدنا يونس عليه السلام لما كان في بطن الحوت: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:87،88].

قال ابن كثير في تفسيره: (﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: إذا كانوا في الشدائد ودَعَونا منيبين إلينا، ولا سيما إذا دعَوا بهذا الدعاء في حال البلاء، فقد جاء الترغيب في الدعاء به عن سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم) [تفسير ابن كثير 5/368]

وقال الله تعالى عن سيدنا زكريا: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء : 89 ، 90]

وقال الله تعالى عن سيدنا أيوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء : 83 ، 84]

وقال عن سيدنا نوح عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [القمر : 9 - 15]

وقال سيدنا عبد الله بن مسعود: (ما سمعنا منشداً ينشد حقاً له أشدّ مناشدة من محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل يقول: **اللهم إني أنشدك ما وعدتني، اللهم إنك إن تُهلك هذه العصابة لا تُعبد...**). [الطبراني في المعجم الكبير 10 / 147]

(**اللهمَّ أَنْشُدُكَ عهدَكَ ووعدَكَ، اللهمَّ إن تَشَأْ لا تُعْبَدْ بعدَ اليوم**، فأخذ أبو بكر بيده، وقال: حَسْبُك يا رسولَ الله، أَلْحَحْتَ على رَبِّكَ، فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر:45-46]) [أخرجه البخاري].

ويروي الصحابة –رضي الله عنهم– أن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((**كان إذا حَزَبَه أمر صلَّى**)) [أخرجه أبو داود]. أي: إذا نزل به أمر مهم أو أصابه غم.

خرج التابعي الجليل العابد محمد بن واسع في جيش قتيبة بن مسلم الباهلي، فلما تراءى الجمعان رأى المسلمون من كثرة عدد عدوهم ووفرة عدته وعتاده ما ملأ نفوسهم خشية منه وهيبة له. التفت قتيبة فلم ير ابن واسع، فأرسل بعض من عنده يطلبونه، فلما عادوا إليه قالوا: وجدناه يشخص ببصره إلى السماء، ويحرك أصبعه ويدعو ،أفندعوه لك؟ قال: لا، فوالله لأصبع محمد بن واسع في الجيش أحب إلي من ألف شاب طَرِير (ذي شارب)، وسيف شهير.

فلما أتاه محمد بن واسع قال قتيبة: أين كنت؟ فقال: كنت أهز لك أبواب السماء.

والتحم الصفان ، والتقى الجمعان ومنح الله ظهور أعداء المسلمين للمسلمين.

اللَّجَأ إلى الله، والضَّراعة بين يديه، والاعتصام بحبله، والرجوع إليه من أخلاق المؤمن عند الأزمات.

فيا رجال الليل، افزعوا إلى الله في صلاتكم بالليل، فإن سهام الليل لا تخطئ، ولكن لها أمد، وللأمد انقضاء، افزعوا إلى الله ليرحم الأمة في هذه الأزمة.

ويا أهل الصدقات، ابذلوا لله صدقاتكم ليحفظ شبابنا في هذه المحنة.

ويا رجال الله، اجأروا إلى الله بالدعاء أن يزيل الغمّة عن البلاد والعباد.

ويا أهل الذكر، ويا أهل القرآن، ويا أهل الصوم، ويا أهل مجالس الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ويا أهل المناجاة، اللهَ اللهَ في الدعاء، والضَّراعة والالتجاء.

ويا من بعدتم عن الله توبوا إليه...

ويا من تركتم الفرائض عودوا إلى الصلاة والصوم والزكاة.

ويا من عققت والديك، اليوم يوم البر والوفاء.

ويا من قطعت زوجك وأولادك ورحمك، الآن أوان الوصل والإحسان .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ * ﴾ [فاطر:15-18]

والحمد لله رب العالمين